جولات في الصحف

مقتطف من الكاتب المصري

في الرحلة
الى النجف الأشرف

بقلم الاستاذ الكبير محمد هاشم عطيه

كنت خلال إقامتي ببغداد اتردد على دار معالي رضا الشبيبي ، فألتقي هناك أحياناً بسيد من السادات النجف هو السيد صالح شمسة وهو من اهل بيت من اقدم البيوتات واعرقها في النجف ، وبه ينزل سمو الوصي المعظم عند زيارته لذلك المقر الشريف . فكان يصف لي ما يمتاز به النجفيون من القدرة على ارتجال الشعر والكلف بالأدب والرواية ، وحرصهم على تخريج أولادهم بالاطلاع والقراءة ، واغرائهم بالمطارحة وتحصيل العلوم العربية . ثم اخبرني بمثل ذلك صديقي السيد حسين بستانة وأكد لي انه لابد من زيارة النجف وكربلاء والتفرج بمطالعة مافي تلك المشاهد المقدسة من الآثار والنفائس والتيمن بقضاء الواجب من زيارة علي والحسين عليهما السلام . وبعد ظهر يوم من أيام الخميس جاءني ذلك الصديق وقال اليوم تفاجئ اهل النجف بالزيارة . ولا يسعني ان أنسى ماقاله ذلك الصديق الوفي بعدئذ من الفضل ، فقد فرض حولي نطاقاً من عنايته لم يدعني افلت من مكرمة يسديها دائماً إلي بطيب نفس ووفاء لم أر مثله إلا له . وهو احد طائفة من مثقفي البغداديين الذي تخرجوا في دار العلوم العالية ، وما يزالون يحتفظون بهذه الذكريات الغالية لتلك الأيام التي اقاموها بمصر . ومما يستحق الذكر انهم جميعاً ينهضون اليوم بأعباء جسام في المصالح المختلفة بالحكومة العراقية

خرجت مع ذلك الصديق في طريقنا الى النجف ، فمررنا بعد قليل ببعض روافد الفرات وهو يتدفق بالماء وعلى جانبيه زروع وبساتين ونخيل وبقاع اخرى جرداء بلاقع ، فذكرني ذلك بما يرى في مصر أيام فيضان النيل وما يذهب من مائه في البحر ، وفي واديه صحارى قاحلة لايعد مايزرع بجانبها شيئاً يذكر . وذلك بالضرورة دليل على عجز العراق ومصر الى الآن عن اتخاذ سياسة مائية يحتفظان معها على الاقل بنصيب مما يذهب من هذا الغدق السائح هباء . ثم انتهينا بعد قليل الى مدينة الحلة ، وهي من المدن القديمة في حواضر العراق وان كانت لاتزيد في عمرانها عن بعض مراكز القطر المصري فنزلنا بدار السيد خير الهنداوي ، وهو من رجال الحلة وهو شاعر أديب من الشعراء الذين لايفشون اشعارهم ، فقضينا في ضيافته ليلة خصنا منه ومن بنيه الغرانيق الثلاثة مالا قبل لنا بشكرهم عليه من التكرمة والحفاوة . وفي صباح اليوم التالي تفرجنا بأطلال بابل ورأينا بقايا القصر الملكي القديم لبخت نصر ، ثم عدنا فتغدينا على مائدة السيد الهنداوي مع جماعة من كرام الحليين . وبعد انقضاء فترة من الحديث والمؤانسة خرجنا الى النجف فبلغناها بعد نحو ساعتين تقريباً ونزلنا بدار السيد غياث بحر العلوم ، وهو شاب مهذب من رجال المحاماة يتمتع بجانب وافر من الدماثة ورقة الحاشية . ثم دعينا لزيارة جماعة الرابطة الأدبية ، وهي تشبه عندنا هذه الجماعة الناشئة التي تسمى بجماعة أدباء العروبة . غير ان الرابطة النجفية تمتاز بالجد في العمل على تنمية المواهب المطبوعة التي لايبعد ان تكون أثراً من آثار الوارثة المنحدرة من أصلاب بعيدة العهد لأوائك الأوائل من الشعراء المتقدمين ، فهم ينظمون الشعر على مناهج القدماء ويتشبهون بهم في احياء الديباجة العربية والعبارات المختارة . واذا كان شاعر العراق اليوم ، وهو السيد مهدي الجواهري كما علمت ، نجفي الأصل فقد حق لأهل هذه المدينة ان يتطاولوا على الناس فانه على ماأعتقد يستحق ان يدعى اشعر شعراء العربية في هذا الوقت غير مدافع . وقد استمعنا في هذه الرابطة الى عدة من الخطب والأشعار تدور كلها حول الاعجاب بمصر والمباهاة بما بلغته من التقدم والمدنية ، وتتضمن مع ذلك شيئاً كثيراً من الحفاوة بنا ووصفنا بما لانبلغه من التقدير والتكرمة تفضلا منهم وحسن ضيافة . وسنذكر من هذه القصائد والخطب هاهنا قصيدة واحده مراعاة للاختصار ، وهي للشاعر الكبير السيد الحبوبي . قال حفظه الله في مطلعها :

فتى النيل والنيل زاكي الثمر أذقنا الجنى ادباً مبتكر

وهي قصيدة طويلة مفرغة في مثل هذه السلاسة والرقة وبعد انتهاء هذه الحفلة الادبية عدنا الى دار مضيفنا ، وهناك

اقبل مشايخ النجف ولفيف من ادباء الرابطة وغيرهم، فقضينا جانباً من الليل في سمر ومجاذبة طيبة . وفي الصباح زرنا دار منتدى النشر ، وهي جماعة ادبية اخرى تعنى مع نزعتها الادبية بالبحوث العلمية المختلفة وتعمل لدراسة الكتب القديمة ويتخرج في اروقتها الطلاب بتحصيل معظم العلوم الاسلامية وهذه الجماعات الأدبية على تعدد اسمائها تتعاون جميعاً على حماية اللغة الفصيحة والأدب المهذب من ان تنال منهما عجمة المتشاعرين والمتعاطين للأدب من غير اهله ممن لايخلو منهم قطر من الأقطار العربية . ويتفاءل المخلصون لهذه الجماعات الأدبية ان تكون نواة صالحة لبناء جامعة كبرى في النجف الاشرف تقوم بتنظيم الدراسات الأدبية وتزويد مدارس الفلسفة الاسلامية ومذاهب الفقهاء بالمباحث الصحيحة من خلاصة العرفان المأثور للأئمة المجتهدين من اهل هذه المدينة وغيرهم من علماء العراق .

ولأدباء النجف طابع تغلب فيه النزعة الدينية ، ولهم صحف ومجلات يعد في طليعتها مجلتا « الاعتدال » و « البيان » الأستاذ البلاغي والخاقاني وكلاهما من الكتاب البارزين ، وهما يخدمان النهضة الادبية والعلمية ويضحيان في سبيلها بالقلم والمال

ولقد كان يرافقنا في كل انتقالاتنا السيد هاشم رزين حاكم النجف ، وهو رجل كريم الخلق جهير ضاحك الثغر صحبنا في الصباح الثاني الى روضة الامام ابي الحسن على بن أبي طالب. وبعد ان طفنا ببذه الحضرة العلوية وقضينا نسكنا منها عدنا الى خزائن النفائس والمجوهرات الخاصة بهذه السدة الشريفة ، فرأينا مايبهر الابصار ، يحير العقول من الستائر المنسوجة باللؤلؤ والجوهر وغيرها من نفائس الاحجار وهن اربع ستائر لا أظن ان احداً ولا هيئة من الناس تستطيع تقويمها بالمال الآن ، ثم رأينا غيرها من الستائر المنسوجة بالماس على شكل الكثراة والقنديل الضخم المصنوع من صفائح الذهب المحلاة بألوان من الاحجار الكريمة . وبعد ان قضينا من ذلك وطراً عدنا فطفنا حول هذه الأضرحة المتزينة بالقباب الموشاة بالذهب . ثم قضينا سائر اليوم في تزاور ومطالعة ، وخرجنا مودعين من اهل النجف الى كربلاء ، بعدان تغدينا ومعنا جماعة الرابطة والاساتذة المصريون وغيرهم في دار السيد صالح شمسة ولقينا من حفاوته ماانحجزنا عن الكلام . فبتنا ليلتنا بدار السيد حسين سادن مقام العباس بن علي عليهما السلام ، ثم تناولنا طعام الغداء على مائدة سعادة المتصرف السيد طاهر القيس الذي حشد للقائنا وافاض في الحفاوة بنا بما لايحيط به الوصف، واستمعنا عنده الى انشاد الشاعر اليعقوبي وهو يترنم بشعره واشعار غيره بأنغام وإيقاع مطرب شجي كما كان يفعل حافظ ابراهيم رحمه الله. ثم عرجنا في طريقنا على مدينة الكوفة ، فتشرفنا بزيارة جماعة من أئمة الشيعة ومجتهديهم ، نذكر منهم السيد الزنجاني والامام كاشف الغطاء والجزائري وغيرهم . ثم عدنا بعد ذلك الى بغداد . وقد تركت هذه الرحلة في نفسي من الأثر ماحفزني الى ان أنوه بها على صفحات « الكاتب المصري » الذي رأيت له بالعراق عشاقاً كثيرين من كرام القراء . ويجمل بي ان اختم هذه الكلمة بذكر قصيدتي التي القيتها في دار الرابطة الأدبية بالنجف اتماً للفائدة . وهذه هي القصيدة :

أمن بغداد أزمعت الركابا وخليت المنازل والصحابا

محمد هاشم عطية

البيان : سبق ان نشرنا في العدد « ٢٠ » خبر قدوم الاستاذ محمد هاشم عطيه الى النجف واحتفاء الادباء والجمعيات الثقافية بمقدمه وما قالوه في شخصه الكريم من اطيب الشعر واعلاه ، ونشرنا في العدد نفسه قصيدته البائيه ، وقصيدة الاستاذ الكبير السيد محمود الحبوبي تلك التي اقامت عطيه واقعدته كالهبت الحفل الذي اقامته جمعية الرابطة والذي ضم خيرة الادباء ، وقصيدة الاستاذ الشيخ علي الصغير العامرة ولاادري لماذا فات الاستاذ عطيه عن التطرق الى اهم نقطه حساسة في ذلك الحفل تلك هي قصيدة الاستاذ هادي محي الخفاجي التي نظمها ساعة القائه وقد جاراه ببا وفاز بث المجاراة .

امن بغداد ازمعت الركابا تود تطير من شوق سحابا

ركاب من بنات النار ماان سرت الا واعجزت العقابا

فلا بيد اعاقها سبيلا ولا هضب وقفن لها عقابا

ووافتنا بكل فتى سما في سماء الفضل مؤتلقا شهابا